

## مشكلة اختيار الاختصاص العلمي لدى طلبة المدارس الثانوية

د. غني ناصر حسين القرشي

جامعة بابل - كلية الآداب

أصبح اختيار الاختصاص العلمي في الجامعات العربية مشكلة كبيرة ومعقدة يواجهها طلبة الثانوية أو الإعدادية عند تقديمهم للجامعات، وتبدأ هذه المشكلة منذ المرحلة الثانوية المنقسمة إلى قسم علمي وآخر أدبي. حيث يفرض على الطالب الالتحاق بأحدهما، ومن خلاله يتم تأهيله للدراسة الجامعية، والدراسة في القسم الأدبي تتيح أمام الطلبة مجموعة من الكليات الإنسانية، أما القسم العلمي يتيح هو الآخر أمامه مجموعة من الكليات العلمية، إضافة إلى وجود بعض الكليات مشتركة لخريجي القسمين الأدبي والعلمي.

بعد المرحلة الثانوية يكون (المجموع الذي يحصل عليه الطالب) هو العامل الرئيس في تحديد أي الكليات أو المعاهد سيلتحق بها. وهنا بالتحديد تكمن المشكلة، حيث أنّ دخول الكلية لا يكون على وفق رغبات الطلبة وميولهم، بل على وفق مجاميع الدرجات التي يحصلون عليها في نهاية المرحلة الثانوية أو الإعدادية. فضلاً عن عوامل أخرى عديدة.

وهكذا تكون مساحة الاختيار للطلاب أصحاب الدرجات المنخفضة، قليلة للغاية وربما معدومة، وفي هذه الحالة يصبح الهدف من التعليم ليس أنّ يدرس الطالب ما يرغب في دراسته، بقدر دراسته لما هو متاح أمامه حتى إذا كان ذلك يتعرض مع رغباته وميوله وطموحاته.

وعلى وفق ما تقدم يمكن تصنيف مثل هؤلاء الطلبة إلى:

- طلبة يطمحون في الحصول على أي جامعة أو اختصاص من شأنها (أو شأنه) تأمين الحصول على وظيفة بعد التخرج، وهؤلاء ينصب تفكيرهم على الوظيفة بوصفها الهدف الأسمى من دخولهم سلك التعليم الجامعي.

- طلبة يريدون دخول أية جامعة أو أي اختصاص مهما كانت (أو كان) لأنّ ذلك يؤثر على وضعهم الاجتماعي في المجتمع.

- طلبة لا يجدون الاختصاص المناسب لهم، فلا يكون أمامهم إلا التعليم الجامعي الخاص على الرغم من ارتفاع تكاليفه بشكل لا يتناسب مع المستوى الاقتصادي لمعظم الأسر العربية. ومن خلال تأملنا في هذا الوضع الذي أصبح مشكلة حقيقية استطعنا تحديد أهم الأسباب التي تقف خلفها على النحو الآتي:

1- وجود الفجوة الكبيرة بين طموحات الطلبة غير المحدودة وإمكانياتهم العلمية يجعلهم في وضع يتسم بالقلق والحيرة والارتباك بسبب عدم وجود رؤية واضحة لديهم بشأن الاختصاص الذي يرغبون في دراسته بالجامعات، ومتطلبات الالتحاق بهذه الجامعات.

2- من أهم مساوئ التعليم في المرحلة الثانوية أو الإعدادية أنها تفرض على الطلاب كليات معينة، وكذلك الجامعات نفسها التي يتم قبول الطلاب فيها بحسب المجموع وليس من خلال اختبارات قبول معينة أو رغبات الطلبة، فإن كل ما يحصل بعد إعلان نتائج القبول يراجع الطلبة الكليات التي ظهرت فيها أسمائهم ويوزعون على أقسام تلك الكليات - وبحسب - مقابلات شكلية في أغلب الأحيان يوجه الطالب بعدها للالتحاق بالقسم الذي نُسب إليه رغباً فيه أم رغباً عنه.

3- ولعل هناك مشكلة أخرى في الاختيار، وهي المجتمع الذي صنف الكليات إلى كليات قمة وكليات عادية وأخرى أقل مستوى. فهناك مثلاً كليات المجموعة الطبية وكليات المجموعة الهندسية... الخ، أما الكليات الأخرى مثل: الآداب والتربية والإدارة والاقتصاد والمعلمين... وغيرها هي كليات عادية. هذه النظرة المجتمعية التصنيفية للكليات تخلق نوعاً من العبء والضغط على الطالب أثناء اختياره للكليات التي يريد الالتحاق بها بالرغم من تخصصه في مرحلة الدراسة الثانوية إلى أدبي - علمي.

4- ولعل السبب المهم الذي يقف خلف هذه المشكلة يتمثل في غياب الإرشاد الأكاديمي والمهني الذي ينبغي أن تقدمه المدرسة للطالب في مرحلة دراسية مبكرة وإطلاعهم على الاختصاصات الدراسية وطبيعة الدراسة في كل اختصاص والمعايير العلمية اللازمة لدراساتها، وفرص العمل التي يمكن الالتحاق بها بعد التخرج لتكون له القدرة لمتابعة مشواره العلمي الجامعي على وفق رغباته ووضع الأكاديمي.

5- هذه النقطة لها علاقة بالنقطة السابقة فقد تتعدد جهات الإرشاد أحياناً (المدارس - أولياء الأمور. الجامعات المعاهد. الإعلام والصحف) وهنا يدخل الطالب في دوامة كبيرة من النصائح

والإرشادات التي لا تخلو من التناقض في بعض الأحيان. وهنا يظل الطالب يدور في حلقة مفرغة ويصبح ضحية التردد ونقص التوجيه، وهكذا تؤثر كل تلك الإرشادات في سير عملية دراسته، والتي قد تتسبب فيما بعد في البحث عن اختصاص آخر أو ربما انسحابه وابتعاده عن الدراسة نهائياً، نظراً لشعوره بالإحباط وعدم القدرة على المواصلة، وهكذا نخسر تلك الطاقات والكفاءات البشرية التي تعدّ حجر الزاوية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

6- من العوامل التي تدفع الطالب لتحديد نوعية الاختصاص الدراسي، نصائح الزملاء، والأهل، دون أن يكون لديهم صورة واضحة حول طبيعة الاختصاص الدراسي الذي اختاروه، بالإضافة إلى اختيار اختصاص بناءً على وظيفة أحد الوالدين أو الأقارب، أو اختصاص يكسبه مكانة اجتماعية ووظيفية مرموقة مع وجود معارضة شديدة من الطالب نفسه. وهنا لا ندعو إلى عدم تقديم النصيحة من قبل الأهل أو تخليهم تماماً عن الطالب وعدم مساعدته في اختياراته ولكن ينبغي أن تقدم له المساعدة بحيث لا تكون عبئاً إضافياً عليه، ومن ثم تكون اختياراته النهائية معبرة عن ميوله ورغباته التي تلبّي حاجاته هو وليس ميول أو رغبات غيره ومنهم الأهل؛ فلا يمكن للطالب التفوق في اختصاص لا رغبة له فيه ولا استعداد يساعده على التفوق، وكل ذلك سيكون على حساب الاختصاص الذي يمكن أن يتفوق فيه ويبدع، وهنا فالطالب يخسر طموحات الأهل ورضاهم وطموحاته الذاتية في آن واحد.

7- من أبرز معوقات الاختيار السليم توجه بعض الطلبة إلى الاختصاص الذي يرون أنه يوفر لهم الوظائف عند التخرج بغض النظر عن ميولهم وقدراتهم. وهذا يعني أن هناك اختصاصات تكاد تكون مهملة على صعيد التوظيف بالرغم من المصروفات الكبيرة التي تصرفها الدول العربية على تلك الاختصاصات؛ ولا ندري ما الغاية من فتح تلك الاختصاصات والبذخ عليها دون أن يستفاد المجتمع من مخرجاتها!.

8- التغيرات التي تحدث في سوق العمل بين عملية العرض والطلب في التخصصات والتكاليف العالية لبعض الاختصاصات ما يدفع بعض الطلبة إلى اللجوء إلى الاختصاصات السهلة والرخيصة. وهنا يكون الطالب مجبراً لاختيار اختصاص لا يرغب في دراسته أو حتى لا يملك أدنى فكرة عنه، وبطبيعة الحال مثل هذا الأمر تكون له انعكاسات سلبية على المتعلم أي الطالب والتعليم متمثلاً بجودته المنخفضة.

هذه بعض الأسباب التي تقف خلف صعوبة اختيار الطلبة الاختصاصات العلمية المناسبة لهم. وهناك بعض الأسباب الثانوية التي تشكل معوقات إضافية لعدم اختيار الاختصاص بصورة صحيحة وهي على النحو الآتي:

أ- تأثير العرف والعادات والتقاليد في تجنب الطالب بعض التخصصات - بالرغم من رغبته في دراستها- مثل: التمريض والبيطرة خشية ما قد يناله أو ينال أسرته من انتقاد.

ب- قد يختار الطالب الجامعة أو الكلية الأقرب لسكنه أو لأجل البقاء مع الأصدقاء دون رغبة.

ج- عدم استشارة ذوي الخبرات في هذا المجال.

ويمكن أن نضع بعض الحلول والمعالجات لها على النحو الآتي:

1- إقامة وحدات البحث والإرشاد النفسي والاجتماعي في المدارس الثانوية والإعدادية تقوم بعملية الإرشاد والتوجيه والنصح نحو الاختصاصات الملائمة لقدرات الطلبة وميولهم، وعن كيفية اختيار الاختصاص الجامعي. على أن يتم متابعة ذلك في الجامعات والكليات قبل التقديم إليها وبعد قبولهم فيها. (ملاحظة: بعض الدول مثل ألمانيا يبدؤون بتحديد ميول الطلبة واتجاهاتهم من سن العاشرة).

2- يمكن اعتماد بعض الاختبارات السيكولوجية للوقوف على طبيعة الاختصاصات التي يمكن أن تنتبأ بإمكانية نجاح الطالب فيها مستقبلاً مثال ذلك اختبار (وتكن) للأساليب الإدراكية والذي يمكننا من خلال تطبيقه أن نعرف إمكانية نجاح الطالب في الاختصاصات العلمية أو الإنسانية. فعلى وفق هذا الاختبار فإن الذي يحصل على درجة أعلى من الوسط النظري للمقياس يكون مؤهلاً للنجاح في الاختصاصات العلمية ويوصف بأنه مستقلاً عن المجال الإدراكي. أما الذي يحصل على درجة أقل من الوسط النظري للمقياس سيما تلك الدرجات المتطرفة (2، 1، 0) فإنه يكون مؤهلاً للنجاح في الاختصاصات الإنسانية، ويوصف بأنه معتمداً على المجال الإدراكي. وهناك العديد من الاختبارات التي يمكن اعتمادها في الكثير من الاختصاصات الهندسية والطبية والتربوية... الخ التي يمكن اعتمادها بوصفها مؤشر لإمكانية قبول الطالب في أي منها.

3- على أولياء الأمور الاهتمام بتربية أبنائهم، ومتابعتهم، وتقوية وازعهم الفكري حتى تتكون لديهم الإرادة القوية والشخصية الفذة والثقافة الواعية فيستطيعوا أن يختاروا الاختصاصات المناسبة بعد الثانوية، كما أن على أولياء الأمور أن يحسنوا الإنصات لآراء أبنائهم الشخصية

وميولهم ورغباتهم ومناقشتهم بهدوء لاختيار الاختصاص المناسب، وتقديم النصح والإرشاد بعيداً عن الضغوط ليتسنى لهم مواصلة دراستهم عن رغبة ومن ثم تحقيق النجاح الذي يتطلعون إليه هم وأهليهم.

4- نجد من الضروري إصلاح النظم التعليمية لتتحول إلى نظم تحقق للشباب رغباتهم وآمالهم على وفق أحدث أساليب التقدم العلمي، حتى لا تتحول إلى عوائق تحول دون تحقيق طموحات الشباب.

5- قيام الجامعات بزيارات ميدانية للمدارس لتثقيف الطلبة وتقديم الإرشاد لهم، أو استضافة بعض الصفوف المنتهية في المدارس الثانوية في الجامعات والكليات والرد على ملاحظاتهم واستفساراتهم لاسيما فيما يتعلق بالاختصاصات المتاحة في الكليات والمعاهد والجامعات، والشروط المطلوبة لكل اختصاص. ومدة الدراسة والجهات الحكومية أو الأهلية التي تستقطب كل اختصاص.

6- من الضروري أن تقوم المؤسسات والوزارات التي تعنى بالجانب العلمي بأداء دورها المهم في التعريف بحاجات سوق العمل والاختصاصات الملائمة التي يحتاجها، حتى تتوافق مخرجات التعليم مع الحاجات الفعلية للسوق، وهكذا يكون الطالب قد استفاد من الاختصاص الذي اختاره ودرسه.

استفاد الباحث في كتابة هذه المقالة من:

1- حسين ربيع، محاضرة بعنوان: الإرشاد التربوي والنفسي والمهني في الجامعة: المفاهيم والأساليب، الدورة الثانية، مركز التعليم المستمر - وحدة طرائق التدريس والتدريب الجامعي، جامعة بابل، 2011 - 2012.

2- كاظم عبد نور، محاضرة بعنوان: دور الأستاذ الجامعي في تحفيز التفكير والإبداع عند طلبته وزملائه، الدورة الثانية، مركز التعليم المستمر - وحدة طرائق التدريس والتدريب الجامعي، جامعة بابل، 2011 - 2012.